الفصل السابع

أساليب دراسة الفلسفة
محاضرات قائمة على المناقشة

جُل الأساتذة يزوِّدون طلابهم بقائمة مواد للمطالعة استعدادًا للمناقشات في المحاضرات المقبلة، ومن المهم أن تطَّلع على المواد قبل حضور جلسات المحاضرات، فنقاشات المحاضرات الناجحة لا تكتفي بمجرد تكرار ما هو وارد في مواد المطالعة، بل تعقد مناقشات المحاضرات عادة- بدلًا من ذلك- لتفسير القضايا المبحوثة في مواد المطالعة وتحليلها. ومن أجل أن تشارك بفاعلية في نقاشات المحاضرات، فأنت بحاجة إلى معرفة ما يتحدث عنه أستاذك في المقام الأول.

لعل أولى النصائح هي أن تبادر إلى تدوين الأسئلة التي تخطر ببالك وأنت تقرأ المراجع كي تطرحها إبان المحاضرة، غير أن عليك أن تتأكد من الاستماع إلى أستاذك أولًا قبل سوق الأسئلة؛ لأن موضوع سؤالك قد يكون واردًا سلفًا في خلاصة المحاضرة التي أعدها أستاذك، وإذا بقي سؤالك في نهاية محاضرة أستاذك من غير جواب، فإن ذلك هو الوقت المثالي لطرحه.

لا تحاول تدوين جميع ما يقوله أستاذك في المحاضرات؛ لأنك لن تكون قادرًا على الاستماع إلى ما يقال إلا إذا ركزت إبان المناقشة، ومن شأن الكتابة في أثناء المحاضرات أن تشغل كثيرًا من انتباهك، وهو ما قد يعطل التقاطك الكامل للدرس المبحوث. حاول ببساطة أن تركز في أكثر الأطروحات المشمولة في المناقشة، فسجل تلك الأطروحات الرئيسة، وأي أسئلة قد تخطر ببالك، وحين تكون قادرًا على السؤال عن أمر ما، فإن عقلك دائب على استيعاب مفهوم معين. في نهاية الحصة تستطيع أن تسأل زملاءك لمقارنة ملاحظاتك بملاحظاتهم بغية ملء الفجوات وإضافة الشروح إلى المفاهيم التي ناقشها الأستاذ.

مواد المطالعة

قد تكون الفلسفة صعبة المنال أو معقدة تمامًا، لذلك من المهم ضمان عدم وجود أسباب الإلهاء والانقطاع حين انشغالك بقراءة المواد، بحيث تتمكن من التركيز الكامل في المهمة المطروحة، وتجنب الانشغال بأكثر من مهمة؛ لأن من شأن ذلك أن يلحق الضرر بتركيزك واستغراقك.

كذلك لا بد من التسليم بأن من الضروري إعادة قراءة كتب الفلسفة وكُرَّاساتها، عليك أن تكون بطيئًا ومتأنِّيًا حين قراءتك لموادك الفلسفية لتتمكن من الإحاطة بما يقال حقًّا، وإياك أن تتوهم أنك قادر على تسويف الدراسة ثم الانقضاض عليها في الدقيقة الأخيرة؛ فأنت بحاجة إلى ما يكفي من الوقت لتأمُّل جملة المسائل الفلسفية وأنت عاكف على قراءتها،

وقد تمر أوقات تشعر فيها بالحاجة إلى العودة إلى مواد سبق لك أن قرأتها من قبلُ بغية تثبيت فهمك.

من شأن دراسة الفلسفة أن ترهقك جدًّا، وهو ما يوجب أخذ أوقات راحة منتظمة صونًا لصفاء الذهن، جنبًا إلى جنب مع الحيوية العقلية، وثمة مناسبات ممكنة حيث تلتقط مفهومًا معينًا على نحو مختلف عند القراءة الثانية.

عند قراءتك لمؤلفات أحد المفكرين المشهورين، فالشيء الأول الذي عليك أن تفعله هو الاهتداء إلى أي نقاط غير معقولة واضحة، والمبادرة إلى التساؤل عما جعل مفكرًا عقلانيًّا كهذا يكتب تلك الأمور المنافية للعقل؛ إنها الطريقة المثلى لالتقاط المعنى الجوهري لعمل المفكر.

وبدلًا من التخطيط والتلوين في أثناء القراءة، يُفضل استعمال أسلوب الإضاءة وكتابة الهامش عند قراءة كتب فلسفية، وهذا الأسلوب أسلوب موثوق لجعلك تبطئ وتأخذ وقتك في قراءة المادة، ومن شأن ذلك أيضًا أن يجبرك على التساؤل عن كونك قد فهمت ما قرأته حالًا، وهل كان ذلك يعني شيئًا بنظرك. وَضْعُ خلاصات موجزة للفقرات الطويلة التي قرأتها يمكنه أيضًا أن ييسر عليك المراجعة استعدادًا لأي اختبار أو مذاكرة.

قراءة كتب الفلسفة مختلفة جدًّا عن مطالعة الروايات وكتب الخيال، ولتتمكن من رَوْز كمية المعلومات التي أنت بحاجة إلى التقاطها، بادر أولًا إلى قراءة فهرس المحتويات والخلاصة قبل الغوص في البحر الفعلي للمادة المطلوبة، وحين تفعل هذا ستكون قد امتلكت فكرة عما يريد الكاتب إيصاله

إلى قرائه (ها)، وكذلك من المناسب إلقاء نظرة على الجملة الأولى من كل فقـرة. وبعـد أن تكون قد فعلت ذلك، يمكنـك أن تنخرط في قراءة المادة من أولها لآخرها.

وسائل عامة

1. حـاول أن تعقـد حلقات نقاش غير رسـمية مع زملائـك في الصف، فقدرتك على الاستيعاب الكامل للدروس في مادة الفلسفة مشروطة بمناقشتك لها وحوارك حولها مع آخرين.
2. عندمـا تكـون عازمًـا على كتابة ورقة فيفضل أن تستشـير أسـتاذك سـلفًا حول أي أسـئلة أو مسـائل قد تخطر ببالك، ولا تبدد كثيرًا من وقتك وأنت تفعل شيئًا سيُزاح جانبًا في النهاية.
3. لا تَخَفْ من طرح الأسـئلة، حتى إذا اعتقدت أنها بديهية أو مفرطة في الغباء، وهذا أسوأ، ويجب أن تكون واثقًا من أن زملاءك الآخرين في الصف لديهم أيضًا الأسئلة ذاتها.